النقد النسوي المغاربي.

شهد النقد الأدبي ارتحالات متعدّدة، كان من بينها ظهور ما يعرف بالنقد النسوي، وهو الذي يهتم بالمسائل النسوية بشكل عام وبالإبداع الأنثوي خاصة، والذي يهدف إلى قراءة المرأة الأنثى، وما تقدّمه من ثقافة وإبداع. وقد انتقل هذا النوع من النقد إلى العالم العربي في سبعينيات القرن الماضي، فأثيرت بذلك مسألة النقد النسوي في الدراسات العربية، فشكلت جدلا بين النّقاد العرب، فظهرت مصطلحات من مثل: الأدب النسائي، أو الكتابة النسائية،" فالناقدة خالدة سعيد من خلال مؤلفها " المرأة، التحرّر، والإبداع، ترى أنّ إطلاق مصطلح الأدب النسائي أو الكتابة النسائية على ما تبدعه المرأة ينوء عن الدقة والموضوعية، وعلتّها في ذلك أنّ ما تبدعه المرأة لا يملك تلك الخصوصية التي تميّزه، وبالتالي تؤهله لأن يكون أدبا متميّزا يحمل هويته الخاصة، فالقول بكتابة إبداعية نسائية تمتلك هويتها وملامحها الخاصة يفضي إلى واحد من الحكمين: إمّا كتابة ذكورية تمتلك مثل هذه الهوية ومثل هذه الخصوصية، وهو ما يردّها بدورها إلى الفئوية الجنسية، فلا تعود صالحة كمقياس ومركز، وإما كتابة بلا خصوصية جنسية ذكورية، أي كتابة بالإطلاق، كتابة خارج الفئوية، ممّا يسقط الجنس كمعيار صالح للتمييز إلى ذكوري ونسائي."[1] أمّا الناقد حسام الدين الخطيب، فيرى أنّ" مصطلح الكتابة النسائية تمّ إطلاقه على أساس تصنيف بيولوجي، فهو مبدئيا لم يرفض المصطلح، وإنّما رفض نوع التصنيف، فحسب رأيه التصنيف الأصح يكون لا على أساس جنسي وإنّما على أساس الموضوعات المطروقة وطرق المعالجة."[2]

ـ التلقي النقدي العربي للرواية النسوية الجزائرية.

[1] ـ خالدة سعيد، المرأة، التحرّر، والإبداع، سلسلة نساء مغربيات، بإشراف فاطمة المرنيسي، نشر الفنك،1991، ص86.

[2] ـ سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية العربية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، ص47.

في حقيقة الأمر لم تنل الرواية النسوية الجزائرية حقها من النقد العربي، وإن كان الأمر يختلف على مستوى النقد الجزائري الأكاديمي، فقد اهتمت الدراسات النقدية الجزائرية بالرواية النسوية الجزائرية وتابعت مراحل تطوّرها، ورافقت ارتحالاها التجريبية، ورصدت العديد من قضاياها، وحدّدت أهم سيماتها. لكن فضاء الاهتمام بقي منحصرا في الجامعة ومختبراتها العلمية وملتقياتها الفكرية وندواتها الأدبية، والمتأمل في المشهد النقدي الجزائري يلحظ "أن حظ الأدباء الذين يكتبون القصة القصيرة أو الأدباء الذين ينظمون الشعر، وهذا مرده لتطور هذا الجنس الأدبي الذي عرف شيوعا منقطع النظير في وقتنا الرّاهن وبحسب جورج لوكاتش فالرّواية ملحمة العصر،"[1] وقد أظهرت الإحصائيات " أنّ الأدباء الأكثر حظوة بالدّراسة والذين حلوا في المراتب الثلاث الأولى هم: الطاهر وطار، وواسيني الأعرج وتليهم أحلام مستغانمي.."[2]

أما إذا ألفينا نظرة على مكانة الرواية النسوية الجزائرية في ميزان النقد العربي لوجدنا شحّا واضحا في تناولها بالدراسة والتحليل، والأمر ذاته ينطبق على الرواية الجزائرية " التي عرفت تطوّرا في تقنية الكتابة/ مما ترتب عنه ظهور نصوص روائية جيّدة لا تقل في جودتها عن النصوص المعروفة في الساحة العربية والعالمية، خاصة في السنوات العشر الأخيرة. فإنه في المقابل نجدها قليلة الحضور في ساحة التلقي النقدي الروائي العربي، بل يكاد يكون محدودا."[3] صحيح أن الرواية الجزائرية حديثة الولادة لكن تقصير النقد العربي في عدم الاهتمام بها ملموس، خاصة النقد الذي ظهر بعد انطلاقتها باللغتين الفرنسية والعربية، " فهناك العشرات من الكتب النقدية التي تناولت الرواية العربية، وبمناهج مختلفة منها التقليدي ومنها الحداثي، إلاّ أنّ الملفت في النظر في تلك الكتب هو خلوّها تقريبا من الرواية الجزائرية، وإن وجد شيء فهو دون المستوى المطلوب."[4] ولو بحثنا في الأسباب الفعلية لهذا النفور الفكري وجدناها تتمحور في خصوصية الرواية الجزائرية التي تفردت في كتابتها باللغتين العربية والفرنسية، وخاصة

الروائية العالمية آسيا جبّار التي برزت في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وهذه الازدواجية في اللغة شكلت عائقا كبيرا على الناقد العربي خاصة في ناحية المشرق، وفي هذا الصدد يقول المترجم مارسيل بوا " يفقد الكاتب نصف القرّاء إذا كان يكتب بالفرنسية، ونصف القرّاء أيضا إذا كان يكتب باللغة العربية، ففي كلتا الحالتين يفقد نصف القرّاء المحتملين."[5] هذا وتتدخل عوامل أخرى في عدم انتشار الرواية النسوية الجزائرية كالتسويق وعملية الإشهار التي تسهم إسهاما كبيرا في التعريف بالأعمال الأدبية وترويجها عربيا وعالميا.

ومن جهة أخرى هناك ظاهرة نقدية ملفتة للانتباه، وهي توّجه جل الدراسات النقدية التي تناولت الرواية النسوية الجزائرية إلى أعمال الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي، ومرّد ذلك الهالة الإعلامية الكبيرة التي أحاطت بالكاتبة عربيا وعالميا، وخاصة بعد منجزها الروائي ذاكرة الجسد الذي انتشر كالنار في الهشيم من ناحية التلقي العربي، وترجم هذا العمل إلى العديد من لغات العالم.

وفي هذا السياق يمكن التمثيل للتلقي النقدي للرواية النسوية الجزائرية بالمنجزات النقدية العربي الآتية:

أـ الجسد وشبيهه: سيرة الواقعي والمتخيّل في رواية ذاكرة الجسد في كتاب جمالية السرد النسائي للناقدة رشيدة بنمسعود.

يذكر الناقد سعيد يقطين في تقديم كتاب جمالية السرد النسائي[6] لرشيدة بنمسعود:" وتعانق رشيدة بنمسعود المرأة المبدعة من خلال فعل الكتابة، بحثا عن الخيط الرفيع الذي يجمع كل هموم المرأة ومختلف مشاكلها، التي تختزل كل مشاكل المجتمع. فإذا المرأة ومختلف مشاكلها، التي تختزل كل مشاكل المجتمع. فإذا المرأة، قضية وخطابا، موضوع أثير ترمي الناقدة من خلاله إلى الغوص في ثنايا التعبير الفني، بحثا عم دلالة واقع عربي ما تزال المرأة فيه تكابد وتناضل، وتسعى إلى تجسيد حضورها الفاعل، وتأكيد صوتها المقموع."[7] فبالإضافة إلى ثلة من الكاتبات

العربيات أمثال: ليانة بدر، ليلى بلعبكي، فاطمة محمد، وغيرهن أفردت الناقد رشيدة بنمسعود فصلا من كتابها للرواية النسوية الجزائرية، وخصصت بالدراسة والتحليل رواية ذاكرة الجسد للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي. إلاّ أنّ هذا الفصل المعنون: الجسد وشبيهه، لم يضف الكثير عمّا تناولته الدراسات الأكاديمية للرواية، حيث راحت الناقد تتنقل في قضاء النص هنا وهناك باحثة عن النصوص الموازية، وجمالية توظيف الخطاب الشعري " نجد أن الرواية تستوعب ضمن بنيتها الأصلية مجموعة من الأبيات الشعرية القديمة والمعاصرة، بالغة العربية كما باللغة الفرنسية.. مما يعطي للقصيدة حضورا مميّزا يؤشر على تعايش وتساكن المبدع الشاعر في شخص الروائية أحلام مستغانمي الشاعرة أيضا.."[8] وبالرغم من أنّ الناقدة اجتهدت في تقديم قراءة مكثفة الدلالة مختصرة الكم إلاّ أنّ عدم التعمق في تحليل المنجز الروائي بدا واضحا من خلال ذلك المرور السريع على أهم آليات التجريب الموظفة في رواية ذاكرة الجسد كجمالية اللعبة المرآوية من خلال التضاد والتطابق، الحضور والغياب، الاختلاف والائتلاف، حيث كان بإمكان الناقد التوّغل في هذه الثنائيات، وإبراز دلالتها وجماليتها بما أن عنوان الكتاب يحمل عنوان جمالية السرد النسائي.

هذا والتفت الناقدة رشيدة بنمسعود في الفصل الأول المعنون: الرواية النسائية المغاربية، واقعية بلا ضفاف إلى الروائية الجزائرية المخضرمة زهور ونيسي من خلال روايتها لونجة والغول التي قارنتها برواية الغد والغضب للروائية المغربية خناتة بنونة، حيث كان جوهر المقارنة من خلال تيمتين مركزيتين هما: التحرر في رواية الغد والغضب، والثورة في رواية لونجة والغول، ففي التيمة الأولى "سعت رواية الغد والغضب إلى الربط بين تجاوز مؤسسة الأسرة التقليدية التي تكرس تبعية البنت، والعمل على جعل مؤسسة التعليم فضاء ثانيا يساهم في تشكيل وعي الفرد وتوجيه اهتمامه بما هو اجتماعي ووطني(المغرب)، وما هو قومي (فلسطين)"[9]أما التيمة الثانية فقد تناولتها الناقدة بنوع من النقد الشكلي لرواية لونجة والغول، التي غلب عليها الثبوت والخطية والخطابة " فإذا سلمنا بأهمية تيمة (الثورة) كموضوع نبيل داخل مسار تاريخي محدد(

مكافحة الاستعمار)، فإننا نرى هذه الأهمية لم يتم تدعيمها على مستوى التخييل والسرد والوصف، الذي وكما هو عليه في الرواية يجعل منها إنجازا نصيا يحكمه الثبوت والخطية والخطابة."[10]

قد أغفلت الناقدة الظروف السياسية والأيديولوجية التي تتحكم هي الأخرى في عملية إخراج المتن الحكائي، فالمتتبع للمسار الإبداعي للكاتبة زهور ونيسي يستنتج ذلك التنويع المستمر في طرح القضايا التي تتعلّق بكل مرحلة عايشتها مع الاهتمام بتشكيل النصوص، فتتكرر ثيمات من مثل: الوطن، المرأة، الثورة الجزائرية، التاريخ، التراث. إنّها الكاتبة التي لا تغيب من رواية يوميات مدرسة حرة1978، إلى رواية لونجة والغول1994 ، بعدها رواية جسر للبوح وآخر للحنين2007، فالرواية من منظور زهور ونيسي: لا يمكن كتابتها بعيدا عن الناس ومعاناتهم، والقضايا الإنسانية لا تنتهي. بالنسبة للزهور ونيسي الكتابة تعتمد على محورين أساسيين هما:

ـ **الذات المبدعة**: يجب أن يكون الهدف من الكتابة نبيلا يعتمد مبادئ الالتزام نحو قضايا الشعب.

ـ **النص الإبداعي**: يجب أن يتوفر على عنصر ارتباط الكتابة بأهداف ومبادئ سامية، تعطي قيمة وقوّة للكتابة ولصاحبها. كما تؤكد أنّ الكلمة تستمد وجودها من طموح البشرية، وعندما ينتهي الكفاح المسلح بتحقيق الأهداف التي قام لأجلها، لا ينتهي نضال الكلمة بل يستمر أشد قوّة وفاعلية، ويكون نضال الكلمة المقدّس لأجل المبادئ السامية المخلصة في ثبات وإصرار، رغم الموت المحدق دائما بالكلمة الحرّة.

ب ـ الرواية النسائية الجزائرية، أسئلة الكتابة، الاختلاف، والتلقي للناقد بوشوشة بن جمعة.

اهتم الناقد التونسي بوشوشة بن جمعة لأمر الرواية الجزائرية عامة، والرواية النسوية الجزائرية خاصة من خلال الغوص في تحليلها ودراستها في العديد من منجزاته النقدية من مثل: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية،

و كتاب اتجاهات الرواية في المغرب العربي، و كتاب النقد الروائي في المغرب العربي إشكالية المفاهيم وأجناسية الرواية. لقد حدّد الناقد بوشوشة بن جمعة فضاء اشتغاله، وهو المتن السردي المغاربي، وقد أبدى الناقد اهتماما كبيرا بالرواية الجزائرية عامة والنسوية على وجه الخصوص، وهذا من خلال الدراسة التي شارك فيها في الملتقي الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة. وعنونها الرواية النسائية الجزائرية، أسئلة الكتابة ، الاختلاف، التلقي.[11] وهي ورقة مطولة تكاد تلامس كل مراحل نشأة الرواية النسوية الجزائرية. ما يميّز هذه الدراسة الأسلوب الدقيق في تقصي المسار التاريخي للرواية النسوية الجزائرية، حيث فصل الناقد بين الإبداع النسوي الروائي الجزائري المكتوب بالعربية، ونظيره المكتوب بالفرنسية، يبدو أنّ هذا الفصل ساعد الناقد على تتبع الظاهرة بيسر. نرصد في هذا السياق قوله" ويهدف هذا البحث في الرواية النسائية الجزائرية ذات التعبير العربي إلى الكشف عن خلفيات تشكلها جنسا أدبيا مستحدثا في خارطة الإبداعي الأدبي الحديث والمعاصر، وتناول أسئلة متنها الحكائي التي تعكس هواجس إبداع كاتباتها وشواغلهن الذاتية والموضوعية في آن ثم إبراز ما قد يتوفر عليه هذا النوع من الإبداع النسائي الجزائري من علامات اختلاف عن السائد السردي الروائي.."[12] يمكن تتبع مضامين الدراسة من خلال عناوينها الآتية:

ـ **الرواية النسائية الجزائرية وخلفيات التشكل**: وقد تتبع الناقد في هذا الجزء المسار التاريخي للرواية النسوية الجزائرية، وقد حدّده بأنه حديث العهد ، " فقد شهد بداية تشكله في العقد الأخير من القرن العشرين، مما يجعل عمره الآن تمام العقد من الزمن:1993ـ2003، مقارنة بعمر الرواية العربية الجزائرية التي دخلت في عقدها الرابع:1971ـ2003."[13]

وفي هذا الجزء من الدراسة رصد الناقد مجموعة من الروايات النسوية الجزائرية: لونجة والغول1993، لزهور ونيسي، وذاكرة الجسد 1993، وفوضي الحواس 1996، لأحلام مستغانمي، ورجل وثلاث نساء1997، لفاطمة العقون، وبين فكي وطن1999، وفي الجبة لاأحد2001، لزهرة الديك، وبحر الصمت 2001، لياسمينة صالح، ومزاج مراهقة1999، وناء الخجل2002، لفضيلة الفاروق.

ـ الرواية النسائية الجزائرية: أسئلة الإبداع ومدارات الكتابة: رصد الناقد أهمّ أسئلة الإبداع النسوي الجزائري، "وهي الشواغل التي تشكل دوافعها إلى الكتابة الروائية، ومدارات حكي هذا النوع من إبداعها الأدبي."[14]من الأسئلة التي ساقها الناقد:

- سؤال الكتابة والرواية: جدل النقدي والروائي، وقد مثّل الناقد لهذا السؤال بالأعمال الروائية للكاتبة أحلام مستغانمي التي طرحت في متونها الحكائية أسئلة متصلة بالكتابة والرواية والقراءة.
- كتابة المرأة وأوجاع الأنوثة المعطوبة: وتصدّر الحب مرتبة الحضور في المتن الحكائي النسوي الجزائري، وبعد دراسة وتحليل العلاقات بين الشخصيات خلص الناقد إلى أنّ" الحب يبدو رهانا خاسرا لجل بطلات الروايات النسائية الجزائرية. فكان العطب الصفة الدالة على ما عشنه من علاقات عاطفية، تنتهي بالفقدان/ الموت أو بالهجر/ الانفصال."[15]
- المرأة الجزائرية والسياسة: وقد عرض الناقد في هذا السياق مدى حضور الخطاب السياسي في الرواية النسوية الجزائرية، حيث مثلت السياسة "سؤالا مركزيا في أغلب المتون الحكائية لكاتبات الرواية العربية الجزائرية، وذلك بسبب ماكان لها من تأثير عميق في واقع مجتمعهن، ومن آثار على وضع المرأة في مختلف أبعاده النفسية والذهنية والاجتماعية."[16]

- أسئلة الموت/ الذات وكتابة الفاجعة. وفي هذا الجزء من التحليل بيّن الناقد بوشوشة بن جمعة مدى تأثر الكاتبات الجزائريات بزمن العشرية السوداء، والموت الذي استفحلت أشكاله، ولئن أنتج نمط الموت الاستشهادي رواية الثورة الجزائرية، في أصالة انتمائها وفي احتفاليتها كما في نقديتها فإنّ نمط الموت العبثي الذي استشرى في جزائر التسعينيات من القرن العشرين ولايزال، قد أنتج رواية المنحة الجزائرية، بعد أن تحوّلت الثورة إلى فتنة، مدارها الحكم. وهي رواية تتخذ من سؤال الموت مدار أسئلة متنها الحكائي، مما أضفى على عوالمها مناخات درامية حوّلت الوطن/ الجزائر إلى سجن/ مقبرة، وناسه إلى كيانات خاوية تمكن منها الخوف من الموت المترصد/ وسكنها الحداد من الموت المحقق.."[17]

في حقيقة الأمر لقد استفاض الناقد بوشوشة بن جمعة في البحث عن مظاهر التجريب الروائي في المتن النسوي الجزائري، وتكاد دراسته تكون الوحيدة التي أحاطت بكل أسئلة وخلفيات وخصوصيات الرواية النسوية الجزائرية.

وبناء على كل ما تقدّم، فإن الرواية النسوية الجزائرية متن يستحق من النقد العربي البحث والتحليل، وان اختلفت أسباب عدم الاهتمام به، فازدواجية اللغة يمكن النظر إليها من زاوية الإضافة لا النقصان، ولأن اهتم بعض النقاد العرب في تحليلها، يبقى تحليلا سطحيا لا يغوص إلى الأعماق، بالرغم من أن أسماء نقدية مغاربية بذلت جهدا كبيرا في تقصي خصوصية الكتابة النسوية الجزائرية كما رأينا مع الناقد بوشوشة بن جمعة بحكم القرب من البيئة الجزائرية التي تتقاسم عديد الانشغالات مع بلدان المغرب العربي. وتبقي الرواية الجزائرية بصفة عامة والرواية النسوية بصفة خاصة مجالا خصبا ينتظر من النقد العربي اهتماما أكثر.

الهوامش :

[1] . نسيم حرار، أدباء الجزائر، مبدعو التسعينيات الأكثر حظوة بالدّراسات الجامعية، إي كتب شركة بريطانية للنشر والتوزيع، ط1 ، ماي2018 ، ص60.

[2] ـ م ن ، ص61.

[3] ـ وذناني بوداود، تلقي النص الروائي الجزائري لدي النقاد العرب وتعدّد مستويات الفهم، ملتقى النص الروائي الجزائري ونظرية الفهم، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، 20.19 نوفمبر 2014، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر،01.

[4] ـ م ن، ص ن.

[5] ـ حوار مع الكاتب إبراهيم سعدي، الرواية الجزائرية لاتزال مجهولة عربيا، جريدة الشعب يوم 28/ 2013/01.

[6] رشيدة بنمسعود، جمالية السرد النسائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

[7] المرجع نفسه، ص5.

[8] المرجع نفسه، ص80.

[9] الرجع السابق، ص20.

[10] م ن،ص21.

[11] ـ بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية الجزائرية، أسئلة الكتابة، الاختلاف، والتلقي، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو، الجزائر 2004.

[12] ـ م ن، ص58.

[13] ـ م ن،ص60.

[14] ـ م ن، ص61.

[15] ـ م ن ، ص71.

[16] ـ م ن، ص76.

[17] ـ م ن، ص83.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المصادر:

1. بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية الجزائرية، أسئلة الكتابة، الاختلاف، والتلقي، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو، الجزائر 2004.

2. رشيدة بن مسعود، جمالية السرد النسائي، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء، ط1، 2006.

3. وجدان الصائغ، شهرزاد وغواية السرد، قراءة في القصة والرواية الأنثوية، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1، 2008.

ب ـ المراجع:

بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للنشر والتوزيع والإشهار، تونس، ط1، 2005.

ـ حميد لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء،المغرب، ط1، 1985.

ـ نسيم حرار، أدباء الجزائر، مبدعو التسعينيات الأكثر حظوة بالدّراسات الجامعية، إي كتب شركة بريطانية للنشر والتوزيع، ط1 ، ماي2018.

ج ـ المجلاّت:

ـ فاطمة المحسن، الأنوثة والرومانس في الكتابة النسائية من غادة السمّان حتى أحلام مستغانمي، مجلة نزوى، مسقط، العدد 33، يناير 2003.

ـ فريال جبّوري عزّول، ذاكرة الأدب في ذاكرة الجسد، ألف: مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، العدد 24، 2004.

د ـ الملتقيات:

ـ وذناني بوداود، تلقي النص الروائي الجزائري لدي النقاد العرب وتعدّد مستويات الفهم، ملتقى النص الروائي الجزائري ونظرية الفهم، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، 20.19 نوفمبر 2014، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.